(14) المشكلة الرابعة [العولمة والتنوع الثقافي]

كيف يمكننا تصور بقاء الأمم بثقافاتها، وإثبات الذات، أمام تحديات العولمة التي تقرر مرجعيات المستقبل ؟

***

مقدمة : طرح المشكلة

الوضعية المشكلة ؛

تحليل الوضعية.

I . مفهوم العولمة

أولا : تعريفها

ثانيا : العولمة كأديولوجيا وسوق عالمية.

II . أهداف العولمة و وسائلها

1 : أهدافها ؛

2 : مصدرها ؛

3 : أقطابها.

III . مخاطر العولمة

أولا : نقد مبادئ فلسفتها والرد على منطقها.

ثانيا : من أكاذيب العولمة لدى " كليمانطا " .

ثالثا : مواقف معادية للعولمة.

IV . الحوار الحضاري و القوميات الوطنية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

V . نحو عولمة قابلة للتهذيب

1 : جدلية العام و الخاص ؛

2 : " كانط " و العالمية ؛

3 : المشاركة في العولمة و توجيهها بدل معاداتها

4 : عالمية الإسلام

خاتمة : حل المشكلة.

تطبيق : نص فلسفي

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

مقدمة : طرح المشكلة

منذ سقوط جدار برلين اتجه العالم نحو نوع من التوحيد الاقتصادي والسياسي، وذلك تحت الهيمنة الاقتصادية والسياسية للغرب، مما أدى إلى ظهور أصوات تدعو إلى ما يعرف اليوم بالعولمة، وفي مقابل ذلك قامت أصوات محذرة من هذه العولمة منبهة إلى خطرها في القضاء على التنوع الثقافي للأمم، وبالتالي إلغاء الكثرة لصالح الوحدة. وأمام هذا التعارض يمكننا التساؤل : هل في **إرجاع الكثرة إلى الوحدة واستيعاب الشمول للتنوع**، نعمةٌ لاستمرار حياة الشعوب والأمم باختلاف خصوصياتها الثقافية أو نقمةٌ عليها ؟ ألا يُخشى من الوحدة أن تَسْحق الكثرة سحقًا، ومن الشمول أن يبتلع التنوع ابتلاعا ؟

وفي الجملة، كيف تحافظ الأمم على خصوصياتها أمام تحديات العولمة التي تقرِّر مرجعيات المستقبل ؟

لمحاولة الرد على هذه التساؤلات، يتعيَّن علينا الوقوفُ على النقاط الأربع الآتية : لماذا العولمة؟ وما هي فلسفتها؟ وما مخاطرها؟ وأخيرا، كيف يمكن إدراك عولمة بين التناقض والتهذيب ؟

الوضعية المشكلة :

اقرأ ؛ أخي الطالب ؛ هذا النّص و تمعّن في مضمونه :

« إن فندق فيرمونت (hotel . fairmont) في "سان فرانسيسكو" مأوى مناسب للرؤى ذات الأبعاد العالمية، فهو منشأة مهمة وله منزلة الأيقونات (icons). إنه نزل لسكنى من اعتادوا حياة الترف والنعيم وأسطورة من أساطير الهيام بالحياة، من يعرفه يسميه تقديرا واحتراما الفيرمونت (the Fairmont) فقط،

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ومن يسكن فيه ؛هو بلا ريب؛ واحد من أولئك الذين ظفروا بكل ما يمنون به أنفسهم.

إنّه يتربع على المرتفعات المسماة نوب هيل (Nob hill) التي تطلّ على وسط المدينة وقلبِها التجاري (city)، كما لو كان كاتدرائية تجسد الثراء، والنعيم، إنّه بناية تتباهى كاليفورنيا بعظمته، وهو خليط صاغه الذوق الذي ساد في مطلع القرن والثراء الذي عمّ بعد الحرب العالمية.

وينبهر زائروه ويؤخذون على حين غرة، حينما يستقلون في براح الفندق المصعد ذا الجدران الزجاجية ليحلق بهم إلى المطعم المسمى« صالة التاج » (crown ’ s room)، إذ يبدو لهم حينئذ مظهر خلاّب لذلك **العالم الرائع الذي تحلم به مليارات البشر** : فمن جسر(golden gate) إلى سلسلة مرتفعات بركليى [berkley] تتوهج لأنظارهم طبقة وسطى على ثراء لا نهاية له، وتتلألأ لهم تحت أشعة الشمس ومن بين **أشجار الأوكلبتس أحواض السباحة التي تضمها المنازل الفسيحة** التي يقف في مداخلها العديد من السيارات.

وكما لو كان علامة حدود عملاقة يشكل الفيرمونت **الحدّ الفاصل بين الحاضر والمستقبل**، وبين أمريكا وبين بلدان المحيط الهادي. فعلى سفوح التل بحذاء الفندق **تكتظّ المنازل بأكثر من مائة ألف صيني.** وهناك عن بعد في الخلف، يبدو وادي السيليكون، وهو موطن ثورة الكمبيوتر (1) Silicon Valley . ولقد درج الكاليفورنيون **الذين عرفوا كيف يجنون الأرباح من الهزة الأرضية** التي عصفت بالمنطقة عام 1906، وجنرالات الحرب العالمية الأمركيون ومؤسسو الأمم المتحدة وجميع رؤساء الجمهورية الأمريكية قي هذا القرن، درج هؤلاء جميعا على الاحتفال بانتصاراتهم في الصالات الفسيحة المزركشة **لهذا الفندق الذي أضفى**

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

على رواية (آرثر هيلاي Arthur Haley) **الخيالية** شيئا من واقعه الحقيقي، **عندما اختير ليكون المسرح المناسب لتحويل الرواية إلى فيلم سينمائي**، ومن ثم فليس بالأمر العجيب أن يصبح الفندق منذ ذلك الوقت **كعبة السواح** .

في هذا المكان الذي شهد أحداث عالمية جساما وقف في نهاية سبتمبر من عام 1995، واحد من القلّة الحاضرة و**الذي كان هو نفسه قد حدّد مسار التاريخ** محييا نخبة من العالم، ولم يكن هذا الشخص سوى **ميخائيل جورباتشوف**. فقد كان بعض الأثرياء الأمريكيين قد تبرّعوا بالمال اللازم ليؤسسوا له في البرزيديو(Presidio) بخاصة، **[** وهو يقع **جنوب جسر** golden gate **وكان إلى نهاية الحرب الباردة موقعا . عسكريا]**؛ معهدا تعبيرا عن شكرهم وتقديرهم لشخصه **(جورباتشوف)**. وهكذا فقد دعا "جورباتشوف" الآن خمسمائة من قادة العالم في مجالات السياسة والمال والاقتصاد، وكذلك علماء من كلّ القارات، وكان المطلوب من هذا **الجمع المختار بعناية**، والذي وصفه آخر رئيس للاتحاد السوفيتي وحامل جائزة نوبل بأنّه ما هو إلاّ «هيئة خبراء Braintrust» جديدة، نعم كان المطلوب منه أن يبيّن معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين، هذه الطريق التي ستُفْضِي إلى« **حضارة جديدة** ». (1) في كلمة ألقاها في سان فرنسيسكو بتاريخ 09/27/ 1995»[1].

---

[1] . " فخ العولمة " ، تأليف هاني . بيتر مارتين . هارالد شومان، ترجمة د . عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ د رمزي زكي، ص . 19 و 20.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تحليل الوضعية المشكلة :

لنتساءل؛ أخي الطالب؛ ما هي مؤشرات هذه الحضارة الجديدة ؟ هي **حضارة : سيكون فيها20 % من السكان العاملين تكفي** في القرن القادم للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي؛ والثمانون 80 % ستواجه مشاكل عظيمة؛ **حضارة** ديكتاتورية السوق والعولمة بدل ديكتاتورية العمال والبروليتاريا ؛ **حضارة** قد يكون شعارها « إمّا أن تأكل أو أن تؤكل » " to have lunch or be lunch " بالنسبة للأفراد أو الجماعات؛ **حضارة المتناقضات** بين مجموعة قليلة تتحكّم في مصادر رؤوس الأموال وطبقة كبيرة كادحة. تلك ؛ أخي الطالب ؛ هي مبشرات العولمة ؛ في رأي ما ينظر إليها بهذا المنظار، و**قد يكون لها وجه آخر**. فما العولمة وما فلسفتها؟

I. مفهوم العولمة

أولا : تعريفها :

- **مرادفات العولمة :**

ليس من السهل تعريف مفهوم العولمة، نظرا إلى تعدّد المترادفات التي تشير إليه، واختلاف المعنى الذي يُعطَى لكل واحدة من هذه المترادفات فمن المترادفات التي تتناولها المقالات والخطب : الدوللة والشوملة والكونانية والعالمية[1]،

---

[1] . وهي على التوالي في اللغة الفرنسية : الدوْلَلة = (Internationalisme) ؛ الشوملة = (Globalisme)؛ الكونانية = (Cosmopolitisme)؛ العالمية = (Universalisme). ويوصف بالعالمي كل ما هو مشترك بين جميع الكائنات البشرية، ويمتد على سائر مساحة الكرة الأرضية، ويهم الناس جميعا.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وهي مفاهيم يكثر استعمالها في مجالات التجارة والمالية، ورغم هذا التعدّد نجد أنفسنا مضطرين لتحديد المفهوم من أجل حلّ المشكلة.

« العولمة » ترجمة للمصطلح الانجليزي(Globalization) حديث المنشأ لا يجدي البحث عنها في المعاجم العربية : بل لابد من الرجوع إلى القواميس الأجنبية لمعرفة المقصود بها.

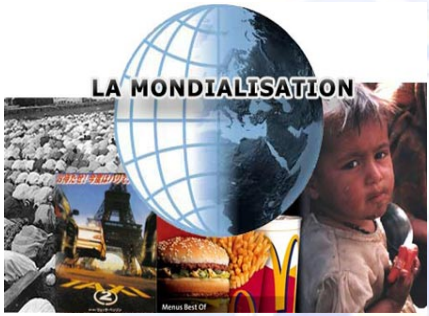

– العولمة والاشتقاق اللغوي : فقد تُرجم مصطلح العولمة إلى ثلاثة ألفاظ عربية هي العولمة والكوكبة والكونية؛ وقد انتشرت اللفظة الأولى على لسان وأقلام أكثر الكتاب والمفكرين، وإنْ كان بعضهم يعترف بان لفظة الكوكبة أدق من لفظة العولمة، لأن لفظة العولمة اشتقاق من عالَم الذي يقابل (Word) وليس من الكوكب الذي يقابل (Globe).

وفي اللغة العربية، نشير إلى أن أصل العولمة القريب، هو من عالَمٍ، جمعه عوالم وعالَمون وعلالم، ومعناه كل مخلوق؛ ولقد جمعه القرآن الكريم في لفظ " العالمين " وقصَد به حسب المفسرين، وخاصة منهم "الزمخشري" و"الفخر الرازي"، كلَّ موجود سوى الله تعالى. وبهذا، فإن العالمين تشمل كلّ جنس ممّا سوى الله. والعولمة كلمة عربية مهذّبة يعرفها مجمع اللغة العربية، ولا تشذ عن قواعد اللسان العربي الحديث. وتقابلها في اللغة الفرنسية، كلمة (Mondialisation).

جميع الحقوق محفوظة ©

- **مفهوم العولمة في الاصطلاح** : اختلفت التعريفات الاصطلاحية للعولمة باختلاف توجهات وأفكار من يعرفونها؛ قبولا أو رفضا ؛ فمنهم من يعرِّفها على :

أنّها "مجالٌ لحرية الممارسة الاقتصادية وحركة التجارة العالمية، وخضوعها لمبدأ واحدٍ هو القوانين العالمية للاقتصاد"؛ ومنهم من يعرّفها بأنها السيطرة الأيديولوجية التي تمارسها الدول العظمى ضد دول العالم الثالث.

ومنهم من يعرّفها كذلك **بأنّها نشر القيم الغربية في مجال السياسة بالدعوة إلى الأخذ بالديمقراطية الغربية بوصفها نظاما للحكم**؛ ومنهم من عرّفها، في سياق آخر بأنها نشر للفكر الغربي في نظره إلى الكون والحياة والإنسان بوسائل منها : الأدب الغربي وشبكة المعلومات الدولية والفضائيات.

فالعولمة تمثِّل ظاهرة أكثر اتساعا حيث تنفتح الحدودُ وتنمو الاتصالات والتكنولوجيات الجديدة، وينتقل الأشخاص والأفكار، وتتفاعل الثقافات فيما بينها. ولكن، يبقى السبق مفتوحا بينهما بحيث يمكن أن يكون أحدهما أشمل من الآخر على حد سواء. ومهما يكن من أمرهما، فإن هذه الإيديولوجيا استراتجيةٌ تنموية جديدة، تتحكم فيها الأسواق المالية والمحلات الشاملة دون أكبر مراقبة.

ومن التعاريف المتداولة في مجال الاقتصادو هو مجالها الأصلي :

"إنّها الحرية التي يتمتع بها كل مجتمع، من أجل الاستثمار، حيث ما أراد، ومتى أراد، وإنتاجَ ما يريد، وشراء وبيع ما يريد، مع تحمل أقلِّ ضغط ممكن، يقتضيه التشريع الاجتماعي" .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ثانيا . مدخل إلى العولمة : العولمة كأديولوجيا وسوق عالمية.

أيديولوجيتها : – فالإيديولوجيا Idéologie اصطلاحا هي علم الأفكار، أمّا " ريمون أرون " (R. Arron)، فيرى أنّ طبيعتها واحدة، تتمثّل في كلّ ما هو فكري، بغضّ النّظر عن كونها الانعكاس الطّبيعي للواقع أو أنّها العنصر المجسّد له بالرّجوع إلى مصدريهما ؛ فالإيديولوجيا قد يكون مصدرها عرقيّا، وقد يكون دينيّا، وقد يكون لغويّا، وقد يكون اقتصاديا.

بعد أن عرف القرن الماضي . وبالتحديد، إلى غاية 1990 . مجابهةَ إيديولوجيتين سائدتين : **الليبرالية** و**الشيوعية**، وبعد أن شهد العالم انهيار الإيديولوجيا الثانية (الشيوعية)، فإن القرن الواحد والعشرين داخلٌ في عالم متقلص وسط قرية كونية صغيرة. هذا، وإن التغيير العجيب الذي عرفته العلاقات الإنسانية والذي أنشأه في أواخر القرن الماضي، التطورُ المثير للتقنيات الجديدة للإعلام والاتصال (NTIC)، قد شكّل بعمق سلوك الإنسان بفرضه على هؤلاء وأولئك، مقاييسَ يصعب لا بل يستحيل جهلها على الدوام. ومهما بدا الأمر مذهلا، فإنّ هاته التقنيات والتكنولوجيات تفرض نفسها بحكم فائدتها و وفرتها، على الجماهير الأكثر عزلة وتهميشا وتأخرا. وبفضل شبكات الأقمار الصناعية وإمكانات الإنترنيت، سيتوفر في كل مكان، الصوت والصورة والخطاب بصورة تفاعلية وبتكلفة أقل. ولم نعد نحتاج إلى استثمارات ضخمة، لإنشاء ونقل الطاقة، ولم نعد في حاجة إلى إنشاء مؤسسات عمومية أو خاصة في تسييرٍ فردي أو جماعي، بشأن توزيع شبكات الاتصال، ما دام الأفراد يملكون القدرة على الاتصال بسهولة وبوثوقية. وسيندفع المرءأمام أشباح من الاختيارات اللامتناهية في الثقافة والترفيه،

http://www.enfed.edu.dz

إلى قَبول المعايير السائدة في العالم الذي أضحى مجرد قرية كونية، وهي معايير تعيِّن له موضعه في المجتمع العالمي.

ونظرا إلى أن العالَم اليوم، يتشكّل فيه اقتصادٌ على نمط اقتصاد القرية الكونية، وما دامت التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال قلَّصت المسافات والزمان، والشفافيةُ أصبحت بقوة الأشياء، أكثر راحة في ممارستها ومراقبتها ممّا كانت عليه قبل اليوم فيتعيَّن على الإنسان . والحالة هاته . أن يتهيأ جدّيا، للدخول في عصرٍ تلتقي فيه كل اهتماماته وتطلعاته، وهو عصر يستوجب الاستمرار في بذل الجهد والانكباب على المشاركة في بناء مستقبلٍ جديدٍ.

العولمة

– **العولمة سوق عالمية** ولقد ارتبطت في نشأتها بفلسفة الاقتصاد الرأسمالي وتطورت مع تطوره ونقتصر على أهم المراحل التي برزت فيها مظاهر العولمة **انطلاقا من (1980- 1988)**؛ والتي أخذت تعرف بشمولة العولمة ثم توسعها **في أوروبا**، وبدافع من التاتشرية في بداية الثمانينيات[1] وبحماس من طرف مختلِف حكومات القارة، تحولت إلى

[1] . (Le thatchérisme) نسبة إلى " مرغريت تاتشر " رئيسة الوزراء البريطانية التي استطاعت سنة 1983 الفوز في الانتخابات، وهو الأمر الذي سمح لها بتطبيق الليبرالية

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

سياسة " الفرنك القوي" ، وحرية تنقل رؤوس الأموال المقرر في 1988، لتصل إلى تتويجها في معاهدة ماستريش (Maastricht) سنة1992 في عقد استقرار الميزانية لـ 1997 ؛ إن هذا النظام العالمي . الذي يخدم مصالح المال الأمريكي، والذي يسعى إلى رفع كلّ العقبات التي تقف في وجه حرية الحركات الرأسمالية على المستوى الكوني . اجتاح بعد ذلك عددا كبيرا من الدول" المستفيدة " من قروض واعتمادات مؤسسات "بروطن وود" تحت خنق " إجماع واشنطن "[1].

الوحشية، فتمكنت من جهة، من أن تجعل من الاقتصاد الإنجليزي اقتصادا مزدهرا حيث استرجعت القيمة النقدية وبوأتها مكانة عالمية ؛ ولكنها من جهة أخرى، ثارت ضد النقابات، ولم يعد للحد الأدنى للرواتب في عهدها، من وجود، وفَقد العملُ ضوابطه القانونية، فارتفعت نسبة البطالة، وشعرت فئات من المواطنين بالضائقة.

[1] . في آخر الحرب العالمية (1944)، تم التوقيع على اتفاقيات " بروطن " (وهي مدينة صغيرة بالولايات المتحدة) بغية إعادة بناء أوروبا وترسيخ تأثير الكتلة الغربية على المستعمرات القديمة عن طريق برامج التنمية والتعاون العسكري. والديون المخصّصة من طرف مؤسسات " بروطن وود " (Bretton Wood) مشروطة بإعادة بناء الدول المستفيدة والتي يفرضها صندوق النقد الدولي. وقروضها لا تزال تتزايد وهي نفسها تفرض على المستفيدين القروض، ثم القروض إلى درجة أن الدول المستقرضة تفقد القدرة على دفع الديون. ومنذ أكثر من خمسين سنة وعلى الرغم من المساعدات التي ترصَد للدول الفقيرة، فالهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة اتسعت ضعفين والأزمات الاقتصادية الكبرى في البلدان الجنوبية لم تعرف في تضاخمها مثيلا .

معاهدة ماستريش (Maastricht) تؤسس اتحادا أوروبيا بين أعضاء المجموعة الاقتصادية الأوروبية ، الموقعة في ديسمبر 1991 . (12 دولة)

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

II. أهداف العولمة و وسائلها وأقطابها :

1 . من أهدافها :

. **تحقيق الثراء وتحسين مصير الفقراء من الدول** والأشخاص (عن طريق صندوق النقد الدولي ص. ن. د.) وذلك لأنّ التجارة هي العلاج العالمي المُناسِب والكفيل بتقديم الإجابة الصحيحة عن الأمراض الاجتماعية، شريطة أن تُزَاح جميع العوائق التي تقف في وجه التبادل العالمي؛ ومن الأهداف التي تسير بالموازاة مع ذلك، تدعيم وسائل الإعلام والاتصال والخدمات الطبية.

. **تعميم وسائل الاتصال وشمولية الاستقلال الفعلي :**

إن الفرد اليوم، جزء من منظومة عالمية للاتصال والمواصلات، تجعله في ارتباط . وفي وقت حقيقي . مع مراسله الموجود في أيّة نقطة في العالم. فبفضل شبكات الأقمار الصناعية، فإنّ الارتباطات الهاتفية التي تسمح بالدخول في التبادلات الصوتية، وكذا بالرسائل المكتوبة والصور، تتم على أساس شبكة عالمية. فقريبا، تصبح الرقمية الهاتفية عالمية وتكون تكاليف الاتصالات متطابقة، مهما كانت المسافة التي تفرق بين المتصلين. وتصبح الركائز أكثر فأكثر، في متناول الجميع ومتشعبة وقادرة على إدماج كل أصناف الاتصال. وفي إطار الشَّوْملة، لا يستبعَد أن يتحسّن ذلك، ليصبح تلبية أحسنَ للحاجات الأساسية للأفراد، في مجال التربية والصحة والسكن والأمن والعدالة والثقافة والترفيه، واستكمال المعارك الكبرى الجارية من أجل إثبات قدسية الحريات والحقوق الأساسية للإنسان والتنديد بالمساس بها. وهذا يزيد من توسيع دائرة الاستقلال الفردي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

. **قيام مجتمع عالمي :**

تحلم بقيام مجتمع عالمي هو القرية الكونية أو"القرية الشاملة" . الاسم الجديد لعالَم الناس اليوم . حيث تُلغى كل الحدود وكل تمييز، وطنيا كان أو قوميا أو دينيا، كما في الويب (Web). فتبقى الشفافية والذوبان الفضيلتين الوحيدتين اللتين يتميز بهما الإنسان المعَوْلم. فيكون شفافا لأنه كائن الاتصال ؛ ويكون ذائبا لأن علاقته بالغير هي موضوع ينصب على عالم إلغاء كل انفصال، ورفض كل مسافة كما في الاتصالات الفضائية[1] (cyberespace).

إن أكبر مشروع يناسب الليبرالية الجديدة، هو بناء مجتمع متجانس حيث تأخذ القواعد الضابطة للعلاقات بين الفاعلين، في التناغم والوحدة. **هو مجتمع يهدف إلى توحيد الأمم، لأنّه يتوق إلى العالمية**. والعالمية باعتبارها صخرة الإنسانية، تُعدُّ في المألوف كقيمة إيجابية، **لأنّها** تجمع البشر . المتفرقين . منذ قرون بسبب الجغرافيا والثقافة والدين أو اللغة. ومن السبُل المتجهة نحو هذا المبتغى، أن الشركات تقرّر مثلا، أن تكيف منتوجها وخدماتها مع المتطلبات اللغوية والثقافية للمستعمِل النهائي. ثم يكون بإمكانها، أن تغتنم فرصة الثورة الإنترناتية، لإنشاء **وجودٍ وهمي** لها في السوق الدولية بفضل موقع متعدد اللغات أو حتى موقع بلغة المال.

تقوم العولمة على السوق العالمية نفسها، وتفقد مبرر وجودها خارج هذه السوق، لأنها مصدر كل رفاهية وسعادة. إن الأمر يتعلق هنا، بتطور ليس

---

[1] . ولكن مهما كانت درجة النجاح التي حققها الاستنساخ في مجال إنتاج الكائنات البيولوجية (المتطابقة)، فإن " الاستنساخ الثقافي "– إن جاز التعبير – أمر مستبعد جدا.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

خطيا ولا نهائيا ولا وهميا. ولهذا، فإنها تريد إشراك المتعاملين في بناء فضاء متماسك أمام الجميع، أي بناء مقاييس موحدة للتنافس والمردودية على المستوى الكوني، وجعْل الأُجَرَاء في أصقاع العالم مباشرة في حالة تنافس. **والحرية المطلقة في مرور رؤوس الأموال، تكون بمثابة المحرك الأساسي للحصول على هذه النتيجة.** فالسوق العالمية تحدد مقاييس مرجعيةِ القطاعات التي تدخل المنافسة الدولية. وهكذا، يمكن القول بأن الاقتصاد المفتوح معناه مجتمع مفتوح.

ومن الوسائل التي ساهمت في تسريع حركة التطور انتصار الليبرالية في أواخر القرن الماضي، وبالتحديد منذ سقوط جدار "برلين". وبسقوط هذا الجدار الذي يرمز إلى فشل الشيوعية التي تدين بالتخطيط، خلا الجو للتفكير الأحادي لصنع القرار في بناء المشاريع ؛ وهو يصنعه آخذا مرجعيته من تيار فكري ينشد إقامة سوق عالمية كبيرة ومفتوحة ومتحررة من كل العوائق التي تتعلق بظاهرة اللامركزية. فيتحكم في العالم بواسطة سياسة اللامركزية هاته، بحيث يتنازل الحكم الوطني عن سلطته ومسؤوليته بنسبة فائقة إزاء شعْبه.

2 . وسيلتها : الهدم مصدرٌ للحركة والإبداع

هذه من الحِكم المشهورة والمتداولة في أوساط الليبرالية المفرطة، والتي تعبر عن مغزى السير وفقا لما يمليه نظام الكون والطبيعة. مثلا، عندما تَغلق المعامل أبوابها، ويصاب الأجراء بالبطالة، يجب أن نقول : "هذا أمر عادي". والمذاهب الفكرية في هذا السياق، تعلمنا بأن الهدم يمكن أن يكون خلَّاقا ومصدرا لمحرك التغير والتقدم. بل إنه الشرط الأول للإبداع. وإذا كان العالم قائما على اللاإبداع، فإنّه لا محالة، صائر إلى الخراب والتدمير.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

3 . أقطابها :

ومن أهم أقطابها رجال أعمال الاقتصاد الأمريكي ثم التاتشرية البريطانية ثم ماستريش ونخبة من البنكيين، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى الدول الخمس العظمى من مصرفيين وأرباب شركات عالمية. وفي سياق التذكير بآثار الثروة والمال الإيجابية، يتصور" دافيد روكفيلير"[1] . أحد رؤساء هذا المقعَّر السري للعمالقة . أن العالم يكون في حالة جيِّدة لو كان محكوما من طرف جماعة نخبوية " تتألف من بنكيين ". وفي سياق الرد على من يعارضون منطق السوق العالمية، وخاصة منهم الحِماياتية[2] ومتظاهري " جينس"[3] في جويليه 2001، قال "جورج بوش" . بعد أن وصفهم بأنهم " عصابة من المتهورين " . : " **إن كل من يقف ضد حرية التبادل، هم ضد الفقراء** ".

وأصبح واضحا وشائعا لدى الملاحظين، أن الحكم السياسي لدى القطب العملاق وهو الولايات المتحدة، يقوم على حكومتين : إحداهما دائمة والثانية مؤقتة.

1 . تتألف **الحكومة الدائمة**. وهي التي تحكم البلاد في الحقيقة . من:

---

[1] . (D. Rockefeller) الذي استولى على تصنيع البترول بكامله تقريبا، واهتم ببناء الجامعات العلمية والطبية وجاء من بعده أبناؤه وأحفاده وزادوا من توسيع رؤوس أموالهم بحيث استثمروا في تجارة الطائرات من طراز البوينغ والصناعة الإلكترونية ؛ وتولى أحدهم وهو نلسن ألدريخ (1908 . 1979)، مناصب سياسية أعلاها نائب رئيس الولايات المتحدة.

[2] . (Les Protectionnistes).

[3] . على إثر انعقاد قمة الثمانية في مدينة " جينس " بإيطاليا (Gênes) ، وقعت مظاهرة معادية للعولمة، تصدت لها السلطة بالنار والحديد والحبس.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أ . أكبر الشركات الأمريكية ؛

ب . وأكبر مكاتب محامي واشنطن التي تنفذ العمل القضائي لصالحها ؛

ج . وأكبر المحلات ذات العلاقات العمومية بـ" واشنطن " تشتغل بإشهاراتها وعلاقاتها العمومية ؛

د . و الوظيف العمومي الأعلى المدني والعسكري.

1 . ثم تأتي **الحكومة المؤقتة**، وهي تقوم على رجال السياسة الذين تشغّلهم الحكومة الدائمة أو النظام الثابت؛ وكل أربع سنوات، ينظَّم مهرجان يسمى انتخابا، يُنتقى فيه الممثلون السياسيون، ويتقدمون على ساحة المهرجان لتنفيذ السيناريوهات المكتوبة من طرف الحكومة الدائمة. ثم تنفق المال اللازم من أجل توجيه انتخابهم. وهذه الحكومة لها كامل التأثير في مصير الدول الاقتصادي أكثر ممّا هو لدى الرؤساء و رؤساء الحكومات.

III.مخاطر العولمة :

أولا : نقد مبادئ فلسفتها والرد على منطقها في النقاط التالية :

1 . إن الإيديولوجية المؤسَّسة على مجرد اقتصاد السوق العالمية وباسم العالمية، تبدو ضيقة، لأنها أحادية الأبعاد لا تقوى على التوفيق بين مختلِف الأبعاد الأساسية التي ينطوي عليها الكائن البشري، بما فيها البعد المادي التي تنشده.

2 . ثم إن التبادل الحر الذي يشذ عن التخطيط وينفلت من شرعية الردع لا لشيء إلا لأنه متروك لأمر قوانين الكون، لتبادلٌ يتنافى وطبيعة البشر.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

فهذه الطبيعة تدرك بما أوتيت من عقل وضمير، ضرورةَ تنمية الوازع السياسي والتنظيم الاجتماعي والرفع من مكانة القيم الأخلاقية السامية. ثم إن هذا التبادل يُفيد بوجه التحديد، الأقوياء ويسحق الضعفاء، كما تؤكده الوضعية المزرية التي آل إليها عدد من دول إفريقيا وأمريكا اللاتينية التي انساقت وراء هذه الخرافة الإيديولوجية اضطرارا أو طواعية.

إن حرية التبادل كما يريدها عمالقة السوق، لا يجني منها الفقراء إلاّ الشقاء، وإلا فكيف يُنمّي هؤلاء العمالقة ثرواتهم ويوسّعون سيطرتهم، إن لم يكن على حساب هؤلاء الضعفاء ؟

3 . وأمام هذه العاطفة الشريفة التي تملأ ضمير الإنسان في تدبير شؤونه، لم يَعُدْ لبناء مجتمعٍ متجانسٍ معنى إلاّ إذا تحقق في جوٍّ من العدل والاحترام والتسامح. وهذا لا يدخل إطلاقا، في ولاية وسياق الليبرالية الشرسة.

4 . ثم إن الهدم في هذه الفلسفة، لا يعني إلاّ الهدم، ما دام لم يتجِّهْ نحو الإصلاح والتهذيب أو الثورة على الظلم والهوان.

ثانيا: من أكاذيب العولمة لدى " كليمانطا "

يعرض " هارالد كليمانطا "[1] في كتابه " أكاذيب العولمة العشر " ، مخاطر العولمة، أهمُّها : " أن العولمة تنفلت من المراقبة. فهي لم تسقط من السماء كقضاء محتوم؛ إنها مقصودة وتتحكم فيها قيادة المنظمات الدولية، كصندوق النقد الدولي (F.M.I)، والمنظمة العالمية للتجارة (OMC) : خليفة كاط (GATT) ". ويقول عن الأكذوبة العاشرة : "إن العولمة تجلب التنوع في جميع أنحاء العالم "، أن كل

---

[1] . انظر (H.Klimenta) ، Gerald Boxberger & Harald Klimenta, Les 10 mensonges de la globalisation.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الأفلام تقريبا هي أمريكية، وأن الليبرالية الجديدة تُعرَض على أنها الاختيار السياسي الوحيد[1]".

ثالثا : مواقف معادية للعولمة :

وأمام هذه الإيديولوجيا، تجنَّد ناشطو حركةٍ احتجاجية باسم الحقوق الاجتماعية من "سيطلي " إلى " جين "مرورا بـ" نيس" و" كطيبورغ "، من أجل التنديد بوحشية العولمة الليبرالية.إن هناك . ضمن المنظمات الدولية الكبرى . منظمة وحيدة تتولى الدفاع عن حقوق العمال، هي المنظمة الدولية للعمل (OIT). ولكنها مع ذلك، ليست هي الأقوى، ولا هي الأكثر اهتماما من طرف الحكومات. ومما أثاره هؤلاء الاحتجاجيون، حلُّ أربع قضايا : الشغل، والفقر، والخدمات العمومية، والديون المقترَضة.

1 . إن العولمة الرأسمالية ما فوق الليبرالية، لا تحمي الشغل بل تحاربه: فالنمو الاقتصادي في إطار العولمة يؤدي إلى تخفيض عدد مناصب الشغل، لأن بعض القطاعات في عدة مجالات وخاصة مجال الإلكترونيات والإعلاميات والاتصال، وهي من القطاعات الأكثر رواجًا في العالم، لا تحتاج إلاّ إلى عدد قليل من العمال.

إن العمل عنصر محدِّد لوجود الأفراد، و وسيلة للحفاظ على حياتهم ولتلبية حاجاتهم الأساسية. إنّه أيضا، نشاط يؤكدون بفضله، هويتهم الشخصية، واستقرارهم الاجتماعي. وهو الوسيلة المؤمنة للتخلُّص من الفقر. وغيابه يذكي ويثير

---

[1] . ويكفي أن نستبدل كلمة " شيوعية " . كما يقول . بـ" الأصولية الإسلامية " ، حتى ندرك الاتجاه الذي سيأخذه الخطاب الأمريكي في المستقبل القريب .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

نار المشاحنات والعنف؛ ويرمي الأطفال خارج المدرسة نحو تعاطي المخدرات. ولأن العمل يحتل قلب حياة الناس، يحتل أيضا، قلب السياسة. فما يزال الملايين من الأطفال، يعملون ومنهم من يرضخ لأسوأ أشكال الاستغلال، فضلا عن أنّهم يعاملون كأشياء. ومن دون الرقي الاجتماعي، فإنّ النجاعة الاقتصادية، لا تَكُون من الناحية السياسية، قابلة للاستمرار (Viable) في منظومة ديمقراطية. **فإنّه لا يمكن معاملة الناس كما نعامل البضائع التي تتحدد قيمتها بالسوق. ولهذا، يجب أن تَصب أهداف التطور الاقتصادي وأهداف التطور الاجتماعي في اتجاهٍ واحدٍ.**

2 . ثم إن محاربة الشغل، معناه تفشي الفقر والكفاف. وهذا يتنافى مع فلسفة التنمية التي تتشدها العولمة. وإدراكا منها لخطورة هذه الآفة وما ينجم عنها من أزمات إنسانية، اعترفت الأمم المتحدة صراحةً . في منتصف التسعينيات . بأن " **الفقر والحرمان الاجتماعي يمسّان كرامة الإنسان، ولذلك فالأمر يتطلب اتخاذ التدابير اللازمة لوضع حد لهما** " .

هذا، وتطور الديمقراطية نفسِها في مسارها الصحيح، واستقرار المجتمع، مرتبط كلاهما بمحاربة الفقر. ومحاربته تتوقف على خلق أسباب العدل بين الأفراد والضعفاء بحيث يكون الحق . من أجل الحياة . فوق الجميع[1]. ولذلك خصصت الأمم المتحدة عقداً للقضاء على الفقر بدأ عام 1997 وينتهي في العام 2006 ، وقد أقرت الجمعية العامة هذا العقد، بهدف لفت أنظار العالم وانتباهه لظاهرة الفقر البالغة الخطورة على البشرية بكل أجناسها وأعراقها، ويوم 17 أكتوبر هو اليوم العالمي لمكافحة الفقر، الذي تستنفر فيه الأمم المتحدة ووكالاتها

[1] . يقول الإمام " علي " رضي الله عنه : " ما جاع فقيرٌ إلا بما متّع به غنيٌ " .

جميع الحقوق محفوظة ©
http://www.onefd.edu.dz

المتخصصة والحكومات والمنظمات الأهلية العاملة في مجالات التنمية البشرية لتسليط الضوء على ظاهرة الفقر ومضاعفاتها.

3 . تحارب بلغة السوق الليبرالية، حقوق المواطنين الأساسية والخدمات العمومية وخاصة منها، خدمات الصحة والتربية. ومن هنا، فإن نسبة كبيرة من الفساد المنتشر في دول العالم الثالث، هي من صنع آليات العولمة من شركات متعددة الجنسيات تدخل مباشرة من المؤسسات المالية والتجارية الخاضعة لها، والتي تغرقها بالديون وفوائد الديون التي لا تتخلص منها ومن ويلاتها. **وهنا** ،" **يكون المجتمع في خدمة الاقتصاد، بدلا من أن يكون العكس**".

4 . تمارس فاشية نقدية، وذلك بالتحكم الديكتاتوري في الأسواق المالية حيث يستطيع شخص بمفرده، أن يقرر نسبة الفوائد، ومن ثمة، مستوى البطالة في العالم ؛ هذا فضلا عن أن العولمة في المنافسة، تقسو على كثير من الذين يدخلونها : فإمّا يصطف المنتجون مع مقاييس المردودية المفرطة أو يتلاشون ويسقطون في البطالة وفي العمل الجزئي، في جميع القطاعات التي لا تستطيع فيها الارتقاء إلى المقاييس العالمية. وتصبح الدول المغلوبة على أمرها . عن طريق الحكومات المغلولة من طرف الصندوق . أرضا تنشأ فيها المؤسسات الدولية الأجنبية. وبالنسبة إلى صندوق النقد الدولي، فإنّه يفرض التعامل مع الدول " المستفيدة " لتصدِّر دائما أكثر حتى لا تتأخر عن سد خدمات ديونها. وعليه، فإنها تضطرّ إلى إعادة توجيه إنتاجها الفلاحي أو استغلال مفرط للثروات الطبيعية نحو أسواق خارجية على حساب الاستهلاك المحلي واحترام التوازنات الإيكولوجية. إن الاعتمادات المالية لبعض الدول هي في الحقيقة، مِنَحٌ من أجل الإفراط في الإنتاج وتحطيم القطاعات الفلاحية لدى الفلاحين في العالم، بما فيه قطاعات الشمال.

وفي إطار ما يترتب عن سياسة (ص.ن.د.) دائما، يتعين على البلدان المدينة أن تبقى جاثية تحت رحمة دائنيها : فتخضع لهم بالطاعة، وهي . كرهنٍ لحسن السلوك . تطبق الاشتراكية، ولكن اشتراكية مقلوبة : فتخوصص الأرباح وتعمعم الخسائر. وليس بالبعيد مع هذا الأسلوب في التسيير، "أن يخوصص الهواء الذي نستنشقه ". فلقد كانوا يقولون إن الخوصصة هي الوسيلة الوحيدة لتسديد الديون الخارجية بالنسبة لبعض البلدان؛ ولكن اليوم، نلاحظ أن هذه البلدان الشقية مثل البرازيل والأرجنتين والشيلي والمكسيك وتيلانده وكوريا، عليها ضِعْف ما كان يجب أن تدفعه منذ عشر سنوات. هذا، بالإضافة إلى أنّ (ص.ن.د.) قرّر أنّه من الشروط اللازمة للحصول على القروض، توقُّف الدول المقترِضة عن إنتاج النقود من خلال بنوكها المركزية. ولقد كان " غاندي " محقًّا عندما قال في 1942 وهي سنة اعتقاله : "**لا يمكن أن توجد مساواة ولا حرية بين شريكين غير متساويين**".

IV. الحوار الحضاري والقوميات الوطنية

1 . **العولمة نوعان** : حسنة وسيئة ؛ **الأولى إنسانية**، لأنها تقوم على العالمية اللامَّة للشمل ؛ و**الثانية سيئة ومتوحشة**، لأنّها تقوم على الغريزة وحب الاستعلاء.

2 . **العولمة والتبعية** : إن العولمة المتوحِّشة. وهذا هو النوع الذي يطغى عليها أكثر . ترهن الأمة وتدوس حقوق أهلها العالمية وتقذف بها إلى التبعية والاستعمار. إنها تحوِّل بواسطة معاهدات استثمارية، نظام أمة منتخَبة ديمقراطيا، إلى هيئات إدارية غير منتخبة تخدم مصالح النخبة العالمية للأعمال.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إن هذه الحكومة العالمية (الجديدة) تحاول أن تحكم الأمم بقوانين يوقّعها أعضاء الإدارة التابعة لأكبر شركات فوق الأممية. وتدخُل الأمم في حياة هذه المؤسسات العملاقة، لَتَعرض نفسها للضرر. يقول "سمير أمين" في" ندوة العرب والنظام العالمي الجديد" : إن "**هذا النوع من العولمة، لا يمكن أن يُنتِج أيَّ نوع من السلام أو القَبول الاجتماعي؛ فهو نظام قائم على الانفجار المستمر : على انفجارات وانتفاضات مستمرة.** فسياسة إدارة الأزمات [تتم] إمّا من خلال التدخل العسكري المباشر، كما حدث في حرب الخليج الثالثة، أو من خلال تحريك القوة التي تؤدي إلى التخلص من نظم الدولة باسم الاختلافات العرقية والدينية، لدرجة أن الهدف هو " إدارة الأزمة " من خلال ضرب النظم الحكومية، نظم الدولة وكسرها نهائياً، وتفتيت المجتمعات إلى مجتمعات لا نهاية لها على أسس إثنية ودينية وغيرها. وسياسة إدارة الأزمة، لها جانبان : **جانب اقتصادي** يتمثل في أسعار الفائدة والديون الخارجية، و**جانب سياسي** يتمثل في الاستغلال الواعي للقوى التي تؤدي إلى تفتيت النظم، نظم الدولة ".

يقول الفيلسوف الفرنسي"غارودي" : "والتيار المهيمن في صفوف الاقتصاديين الرسميين والسياسيين، هو الدفاع عن الليبرالية بدون حدود، والداعي إلى اختفاء الدولة أمام السلطة المطلقة للسوق، وحتى لا يبقى أيُّ عائق أمام الاحتلال الاقتصادي " .

3 . تثبيط إرادة الأمة : إن الامبريالية هي الظل الملازم للعولمة الفاحشة، تخطط لمحق كل الانتصارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نتجت عن قرن من النضالات الاجتماعية والثورات التحريرية، وأن ترسم خريطة جديدة للعالم تتوافق مع مصالحها؛ وهذه الخريطة الجديدة، لن يكون فيها حدود

جميع الحقوق محفوظة http://www.obeikandl.com

خاصة بكل دولة، لأن هناك ما يدعو إلى تحول الشركات المتعددة الجنسيات إلى دول حقيقية، تقوم بتفكيك الدول وإعادة بنائها . قادتُها ورؤساؤها هم رؤوس الاحتكارات العالمية الجشعة، من عبدة الدولار وغيرهم من الأمْريكيين وخلفائهم الخاضعين لتوجيهاتهم . وتقضي على شعور أهلها الوطني.

فمصير الدولة في ظل العولمة، هو **الزوال والاضمحلال**؛ وهذا مصير لا خير فيه، وخاصة في العالم الثالث. والظروف الموضوعية في العالم الثالث مناسبة تماماً، لتفتيت الدول القائمة وشرذمة المجتمعات الراهنة، نتيجة لما يحفل به هذا العالم من صراعات بين قِلّة غنيةٍ وأغلبية فقيرة، ونتيجة لما يشتمل عليه من جهل ونقص في التعليم والثقافة والوعي، يترتب عليه بروز التناقضات الثانوية وتحوِّلها إلى تناقضات رئيسية، مثل الصراعات القبلية والسلالية والطائفية والدينية وغيرها.

4 . **الثقافة والتدمير الأخلاقي** : وفي ظل هذه القرية الكونية الواحدة، تنتشر سلطة العولمة، وتتغلغل في كل ذرة من ذرات القرية عن طريق مئات الأقمار الصناعية التي تجوب الفضاء الأرضي. ففي كلِّ يومٍ، ترسل البرامج المنوعة إلى كلّ عائلة من عائلات بلدان العالم، لتستقبلها أجهزة التلفاز والإنترنت. وينتشر نفوذها من غير استئذان، ولا اعتراف بحدود وطنية ولا بخصوصية ثقافية، إلى عقول الناس وقلوبهم دون استثناء، ومن دون رقيب من دولة أو أمة أو دين أو قومية.

والقصد من هذا النفوذ، محوُ الموروث الشعبي وإفراغه من انتماءاته وأصالته وثقافته وأنظمته الاجتماعية، والترويج لمغرِيات الحياة الرأسمالية الأمريكية، وأنماطها الاجتماعية والأخلاقية في التفكير واللباس والأكل والترفيه، وفتح أبواب

http://www.onlinedu.dz

الإباحية التي تؤدي إلى هدم الأسرة، وإطلاق الحرية الجنسية، وإقرار الشذوذ، وشل سلطة الأبوين، وحرية الإجهاض، وإلغاء نظام الميراث. وكثير من أصحاب القرار الذين لا همَّ لهم إلاّ المال، يدركون الخطر الذي يحدق بالضمير العالمي. وليس بالغريب إن كان بعض هؤلاء يستنكرون ذلك صراحة. فلقد حذرت المسلمين، رئيسةُ جمعية الأمهات الصغيرات في أمريكا، في مؤتمر القاهرة 1994 قائلة : " لقد دمّروا المجتمع الأمريكي، وجاؤوا الآن بأفكارهم للمجتمعات الإسلامية حتى يدمروها ويدمروا المرأة المسلمة ودورها فيها".

. رأي الهيجليين :

عندما يأخذ تجانس الأفراد ضمن القرية الكونية، في النشوء والتطور، يُفترض أن يكون مشروعا أجمعت عليه الفئات البشرية، بمختلِف اتجاهاتها الثقافية ؛ وإلا يكون تجانسا يحلم به الخيال بقدر خرافية فكرة إلغاء الفوارق بين الشعوب وبين الأمم[1]. إن الأفراد لا يحرصون على الارتباط بالأمة بفكرة مُسْبقة يسهل التخلص منها. ففي الأمة، هناك سيرورة في التعرف على الكينونة، وهو تعرف يسمح لنا بتعيين وجودنا، وهو تحديد في الكينونة يفترض الاختلاف. وفي لغة الهيجليين، هناك هُويَّة الهوية وهوية الاختلاف. وهنا، يمكن الحديث عن العلاقة

---

[1] . يقول " ليفي ستراوس " : لا وجود لثقافة إنسانية، وإنما هناك ثقافات إنسانية، وعدد تجليات ما هو إنساني، يقدر بعدد الثقافات في لغاتها وتقاليدها وأعرافها ... ولا يعقل أن يتصور أحدنا أفرادا متشابهين على وجه المعمورة : يسمعون نفس الموسيقى، ويرتدون نفس الملابس، ويشربون نفس المشروب، ويتناولون نفس الأكلة، ويتكلمون نفس اللغة . " يجب أن نتكلم عن عوالم وليس عن عالم " ، مارك أوج ؛

Marc Auge, Pour une Anthropologie des mondes contemporains. (p. 127-129)

http://www.onefd.edu.dz

بين ما هو عالمي وما هو خصوصي : **فالعالمي ليس فعّالا إلا داخل شعب خصوصي**، وأن العالمي لا يوجد إلاّ في الخصوصي، وإلا فسيكون هذا العالمي مجرّدا، فارغا أو قل هو عالمي سيء. فالعولمة هي هذا العالمي الموحِّد، العالمي الذي يستوعب الخصوصية. وبالتالي، فإن الكونانية الحقيقية والعولمة الاقتصادية اللتين تقدمتا كظاهرتين متلاحمتين، تدخلان في صراع على مستوى أوسع فأوسع.

وباختصار؛ أخي الطالب ؛ إن العولمة في شكلها المتوحش، هي مجال مفتوح لسيطرة النموذج الرأسمالي على العالم بعد انتهاء الشيوعية. فتذوب في طي ظلّه الحدودُ الجغرافية، ما دامت الشركات المتعددة الجنسيات، تخترق حدود الدول. وتتضعضع الدول وخاصة منها، الضعيفة وتُبتلع عن طريق التحرك تحت مظلّة الشرعية الدولية للتدخّل المباشرفي شؤونها. وتطمس الهوية، وتندثر الخصوصيات الثقافية. وكلّ هذا، يُنذر بنهاية الوازع الديني والأخلاقي، ومن ثمة نهاية ما في الإنسان من الإنسان.

V. نحو عولمة قابلة للتهذيب

1 . جدلية العام والخاص

إن العولمة، يُفترض أن تدرِك بأنّه بين الخاص والعام، بين مقتضيات الخصوصية ومقتضيات العالمية، تكامل و وئام؛ وبأنّه لا يُصنع ما هو عام ولا ما هو عالمي من لا شيء. وقد يبدو لنا ما هو خاص أو ما هو خصوصي غيرَ متجانس مع غيره بحجة فردانيته؛ ولكنه في حقيقته، يحمل بذور العالمية لأن وراءه إنسانا يتوق إلى التعالي ويسعى إلى اعتناق أمثاله في كل أصقاع الكرة الأرضية، مهما كانت حدودهم الزمانية والمكانية.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

فالإنسان الذي يشارك في صنع الثقافة، هو في نفس الوقت واحد و وحيد ؛ نقول : **واحد** من حيث إنه يشارك في بناء الحضارة كأمثاله من الناس ؛ ونقول : **وحيد** لأنّه يبدع ما يميّزه ويعمل على تعميقه، عندما يرجع إلى نفسه.

وإذا فهمنا بهذا المعنى، الخصوصيات التي تميّزه، أدركنا بأن الاختلاف والتشتّت يطمح كلاهما إلى الوحدة، كما أن الوحدة تتفقد وتستثمر العناصر والأجزاء التي تتألف منها. وإذا كانت العالمية التي جمعت الناس وما تزال، في مستوى القيم والمثل الإنسانية، تلعب دورها في ترقية الخصوصيات ورفعها إلى قمّة الطموحات الروحية، فكذلك يجب على الخصوصيات أن تساهم إيجابيا، بالمشاركة في بناء وتحقيق غايات العالمية.

2 . " كانط " والعالمية الثابتة

أ . يقف " كانط " ضد انصهار الدول وذوبانها، لأن للدولة شرعيتها الشعبية، وليس لأحد الحق في اختراق قدسيتها؛ وهو يدرك الجدلية بين ما هو عالمي، وما هو خصوصي، ويفضّل التعدد على الاختلاط ، لو خُيِّر بينهما.

ب . وفي مجال تطبيق فلسفته النقدية على المستوى الدولي، يقف " كانط " بوضوح، في " مشروعه للسلم الدائم " ضد ذوبان " الدول . الأمم " في مجموعات فوق – أممية، لأن الدولة جذع، له جذوره الخاصة به، وجذوره ينظمها العقد الاجتماعي المؤسِّس لشرعية الدولة. ولهذا، فإن " إدماج الدولة في دولة أخرى كمجرد تطعيم، معناه اختزالها من شخصيتها المعنوية إلى حالة شيء؛ وهذا يناقض فكرة العقد الاجتماعي الذي بدونه لا يمكن تصورُ حق التصرف ضد شعب".

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ج . وهو يقف بهذا، للدفاع عن" عالمية ثابتة "[1] يتصورها كبديل لنهوض الأممية[2] وللتعدد الثقافي، و" هي عالمية تقوم لتدافع في شكلها المعاصر، عن أنّه ليس ما يجعلنا بشرا هو الانتماء إلى أمّة متميزة عن أمم أخرى . حتى وإن كانت هاته الأمة هي الأمة الوطنية . بقدر ما هو قابلية أو عدم قابلية هويتنا الجماعية للاختزال، وقدرتُنا على تحريرنا من كل ما يميزنا، لنلتقي داخل أمة لا تؤسس أمة في الحقيقة، إذ أنّها لم تعد تعاند الأمم الأخرى، وتحديدُ أمة الإنسانية كما هي" .

د . إن الفضل الأكبر في اقتراحات " كانط "، هو أنّها تسمح بالتفكير عمليا في " هذه الجدلية " بين العالمي والخصوصي. فالعالمي يبدو مثالا . هو في آن واحد . ساحرٌ وغير مرغوب فيه. وفكرة الحياة في عصر الشوملة، وفي عالم موحد من دون " أرض معلومة " ولا أعداء خارجيين، هي فكرة تبدو أكثر تنفيرا من كونها تبشيرا. فالمنظور العالمي يَفْتِنُنا ويخيفنا، لأنه يمثّل لدينا إلغاءَ الآخر، وهذه هي أُمنية النرجسية العميقة، ولأنه يثير . في نفس الحركة . قلقا قويا جدا، بحيث نتساءل : من نحن، وهل ألغينا الآخر؟ وما مصيرنا لو مكثنا . نحن المتشابهين والمتضامنين بنفس الحق . وحدنا أمام كون أخرس ؟

هـ . ولهذا، فالكونانية (النزعة العالمية)[3] الكانطية تفترض تعددية الدول الحرة لا اختلاطها الخرافي. والدول لا يمكنها أن تكون حرة حقيقة، إلا متى

---

[1] . (Universalisme maintenu).

[2] . (Communautarisme).

[3] . (Cosmopolitisme).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

ارتبطت باتحادية لا علاقة لها بالتفوق على الدول، ارتباطا لا يفقد الحرية لكل دولة خاصة، تشارك ضمن هذه الشراكة. وهذا لا يستوجب إنشاء دولة فوق – أممية. كما أن السلطة الشرعية التي يحترمها المواطنون، لا يجب أن تنقَل هكذا، إلى النظام الدولي. فهذا التأليف النظري اللطيف والذي يؤكد " كانط " بأنه قابل للتحقيق، يفترض مجموعتين كبيرتين من الشروط : الأولى إيجابية، وهي أن الدول المشارِكة في هذا الاتحاد القائم من أجل السلم الدائم، يجب أن تكون جمهورية؛ أي لها تمثيليتها ؛ والثانية هي حق الكونانية تقف عند حقوق الناس أي عند " شروط الضيافة العالمية "[1].

3 . المشاركة في العولمة و توجيهها بدل معاداتها.

أ . كل ما هو مخلوق . الحي منه والجامد . يخضع لقوانين التطور. ففي مجال الكونيات، يعتقد الأخصائيون بأن الكون ذاته، يتقلص لينطوي على نفسه بعد فترة من الانتشار. وفي مجال التحولات البشرية، يعتقد أهل التفكير أيضا، بأن عالم الناس يتتبع نفس المسار: فكما أنه كان في الأصل متحدا ومجتمعا ومتكتلا على المستوى الترابي واللغوي والإثني والاجتماعي، فكذلك تكون قد انفصلت أجزاؤه وانتشرت عبر القارات، بحكم فضول الإنسان وكذا، بحكم طبيعته في الاستقرار. ومع التطوّر التكنولوجي والعلمي في الاتصال والتوسع التجاري السريع، صار بالإمكان مشاهدة الرجوع إلى حركة واسعة وعميقة في الارتداد ؛ وهي حركة إعادة العالم البشري إلى وحدته وكتلته.

ب . إن نظرة واحدة تكفي لكي يتبيَّن المرء أن كل ما ينتجه من عادات وتقاليد وقيم أخلاقية وفن، وما يمارسه من ديانة وفلسفة، إنّما ينتمي كلُّه

[1] . Kant, Projet de paix perpétuelle, p. (335-348).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

إلى روح واحدة تضمُّه وتخلع عليه الوحدة وتمنحه ما هو كلّي فيه ؛ وقد يقع نكوص العالمية بسبب عدم التجاوب بين النسبي والمطلق لاحتمالين اثنين : إمّا لأن الخصوصيات المنتشرة لم تعد تدرك مستوى الإنسانية، فتؤثر سلبا على العالمية، وإمّا لأن هذه العالمية انفردت بتصور لا يتماشى وطموحات الثقافات الخصوصية.

ج . لقد كانت الحضارات السابقة لحضارة العولمة هاته، حضارات متعددة الأبعاد، ولكن الحضارة الحالية، تتقدم كحضارة أو ثقافة ذات بعد واحد؛ بل الإنسان الذي يشارك في بنائها ويعيش في ظلها، أخذ يتحول هو الآخر، إلى إنسان ذي بعد واحد. وكأن الوقت لم يحن، ليستوعب فيه البعدُ المادي جميعَ الأبعاد المختلفة التي ينطوي عليها الإنسان. ولهذا، فإن مسألة الانتقال من التشتت إلى الوحدة الكاملة، تحتاج إلى بعض التهذيب وذلك، ليتحقق الوئام مثلا، بين أنصار العولمة وأصوات المتظاهرين، من "سيطلي" إلى "نيس" ، بين أهل الشمولية وأهل الأمة والوطن بين أصحاب الثقافة وتنوع الثقافات.

يمكن هنا، تسجيل ثلاث ملاحظات :

أ . لا بد من الاعتراف بأن العالم يسير في اتجاه العولمة حتى وإن كان البعض غير مقتنع بأنها توشك أن تكون حقيقة واقعة ؛

ب . إن الصراع بين أشكال الحياة المختلفة . سواء داخل ثقافة بعينها أو داخل البنية الثقافية للعالم بأسره . أمر لا مفر من مواجهته، سواء كانت هذه

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

المواجهة ستتخذ شكل دعوة إلى حوار الحضارات عند المتفائلين[1] أو شكل دعوة إلى صراع الحضارات عند المتشائمين.

ج - وأخيرا، يبقى على كثير من الأمم، أن تعيد النظر في مسلماتها الثقافية والتربوية والأخلاقية انطلاقاً من الحقائق الراهنة للعالم، لا بقصد التكيف معها فحسب، وإنما أيضاً بقصد المشاركة في إنتاجها حتى تكون أكثر تعبيراً عما تريد أن تكون عليه من ناحية، وحتى لا تنساق إلى الانزواء والتهميش.

وبناء على ما تقدم، لا يمكننا مثلا، مناقشة مشكلة إصلاح المنظومة التربوية . وكل ما يرتبط بها من مسائل . إلا إذا سلمنا بأن (العولمة) معطى حقيقي وواقع لا يمكننا تجاهله،وهو الأمر الذي يلزمنا بأن نحاول استكشاف السبل والأساليب والرؤى التي قد تيسر لنا تقديم عدة ملاحظات، من شأنها أن تكون نافعة في استنباط مدخل أصيل إلى التربية في إطار عالم أصبح يميل بقوة، إلى أن يتحول إلى (قرية كونية).

هذا، وإذا كان الولاء للوطن والأمة أمراً لا يشك أحد في أهميته وقيمته، فإن الحياة فرضت على المربين المعاصرين مجموعات جديدة من القيم، يتعين أخذها بعين الاعتبار. فقد أصبح من الضروري، على سبيل المثال، أن ينضاف إلى الولاء إلى الأمة، احترام البيئة من خلال العمل على حماية المحيط الكوني الذي يحيا فيه الجميع. ومن شأن هذه الحقائق الجديدة، أن تضعنا وجهاً لوجه أمام عالم شبه موحد تتزايد فيه مظاهر الاعتماد المتبادل. وهكذا، أصبحت

---

[1] . ويتحدث البعض عن تحالف الحضارات وتضامن الثقافات .

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الطبيعة ذاتها جزءاً لا يتجزأ من عملية العولمة الجارية اليوم، والتي لم تعد مقصورة على المظاهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للعولمة[1].

1 . ضرورة المشاركة فيها

وعليه، فلا معنى لأمة من الأمم، أرادت أن تبقى خارج التاريخ، لأن استمرارها موقوف على الطاقة الداخلية أو الباطنية التي يتمتع بها أهلها في دفع المستوى الحضاري إلى درجة أعلى وأعمق للتقرب من بلوغ العالمية المطلقة.

2 . أولوية المحدود على اللامحدود

ولنا هنا أن نسأل، ألا يمكن اعتبار **المدينة** والوطن، أساس أيّ وحدة عالمية ؟

أ . لقد أشار " أرسطو " إلى أنه لبناء صرح بشري أوسع، لا بد من الانطلاق من المدينة كفضاء محدد؛ وكما أن الفرد يتشكل كشخصية، مستقلة في قدرتها على وعي التمييز بين ما هو ذات وما هو غير ذلك، فكذلك الفضاء السياسي حيث يؤكد الأفراد حريتهم، لا يمكن أن يُبنى إلا إذا تعينت حدوده. وبالنسبة للناس، فالعالم ليس فضاءً يمتد على مقاسهم. إنه " معدوم الحدود"، اللامقيس واللامعيَّن. فالأمة هي قبل كل شيء، المكان الذي تجمع فيه هؤلاء روابط مشتركة منذ الولادة. فهناك أمة إثنية، وشعْب مجذر في ظروفه الطبيعية. ولكن يمكن أن تقابل الأمة الإثنية أمةً سياسية مؤسسة على عقد هو أنضجُ شكل من أشكال التفكير في الحياة الاجتماعية لأنها تتأسس على العقل.

---

[1] . ومن ذلك كله، برزت الحاجة إلى صياغة إستراتيجية جديدة للتربية الجزائرية في مطلع القرن الحادي والعشرين متلائمة مع متطلبات العالم الجديد وصورته المستحدثة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

عندما أقام " أرسطو "، ولأول مرة، قواعد الفلسفة السياسية، صنعها بتعيين المدينة كفضاء حيث يمكن نشر الحرية؛ مع العلم بأن المدينة تعريفا، هي فضاء محدد ". وحتى الوطن المدستر، فإن له حدودا وهو جامع مفرق .

ب . وفي هذا الإطار، يرى" روسو" أنه يجب الانطلاق من محبة الوطن أي من رقعة ترابية محدودة، وذلك لأن محبة القانون المؤسسة عن دراية، يجب أن تفوز بدعم عاطفي. فالعقد الاجتماعي يجد بهذا، جذوره لا داخل اجتماع مجرد من الأفراد، ولكن داخل خصوصية الشعب. ولهذا، تعتمد محبة القانون على محبة الوطن، وهو شرط يضمن العقد. وفي رأي "روسو"، لا معنى للقواعد العقلية العامة إلا من خلال التقاليد التاريخية الخصوصية بحيث يتعين بناء . ما نسميه اليوم وبلغة العصر . العولمة، انطلاقا من احترام الخصوصيات أوّلا .

هانَّه أراند

ج . وفي كتابها، " أصول الحكم الكلياني" (1951)، تسجل "هانَّه أراند"[1] أن الحكم الكلياني لم يلتمس الالتزام السياسي من المواطنين؛ إنّه يعتمد

---

[1] . (Hannah Arendt 1906- 1975) فيلسوفة معاصرة تتلمذت لـ" هيدجورد" و"ياسبيرس"؛هجرت من ألمانيا النازية إلى فرنسا (1933) فالولايات المتحدة (1941)؛ اهتمت بالفلسفة المسيحية على الرغم من أنّها من أصل يهودي . من مؤلفاتها : شروط الإنسان الحديث، أزمة الثقافة، النظام الكلياني Les Origines du Totalitarisme ، من الكذب إلى العنف.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تحديدا، على تفتيت المجتمع، ولى الطمس التدريجي لـ " الحس العام "(أو الوعي بالحياة مع الآخرين، وفي فضاء مشترك). يمكن القول في هذا المعنى، بأن الكليانية هي اللاسياسي. وفي أصل هذا الإفلاس الفكري والأخلاقي الذي جعل ممكنا هذا المرض المتجذر، نجد في رأيها، التطور التاريخي للبرجوازية الذي به حدث اختلاط الحدود بين الميدان العمومي ودائرة الحياة الشخصية.

وتؤكد في كتابها " شروط الإنسان الحديث " على ضرورة الحفاظ على ثلاثة عوامل حيوية : الشغل ويقاس بالساعات، والآثار وتقدر بالمنفعة الدائمة، والنشاط الذي يمارس في فضاء مدني حيث يتعامل الناس مباشرة بعضُهم مع بعض. وفي الجو المدني، يأخذ الإنسان في الوعي بالتعددية، وهي الجوهر الذي تتميز به الحقيقة الإنسانية : " **فالذي يعيش على الأرض ويسكن العالم، ليس الإنسان، وإنّما هم الناس**". فالنشاط يؤخذ هنا كعامل يرتبط أو يدخل في تأليف فضاء عمومي حيث يستطيع الناس أن يتحاوروا بكل حرية، وينشطوا في اتجاه اتفاق مشترك. وفي إنشاء هذه الأمة من المتساوين . حيث يتمتع كل واحد منهم بنفس القدرة على العمل . ترى " أراند " عهدَ عالمٍ من غير هيمنة ولا عنف، عالم إنساني أصلا، يكون قد تمكن من إبعاد أشباح الكليانية والبربرية "[1].

---

[1] . : استأنس بالكتب التالية La crise de la culture, Gallimard, 1972 ; Condition de l'homme moderne, Calmann-Lévy, 1961 ; Le système totalitaire, Seuil, 1972.

http://www.ofeed.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

4 : عالمية الإسلام

1 . التصنيف المجحف

تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الجهود التي بذلها رجال الدين والفكر والعلم عبر العصور، فما زلنا نشاهد ذهنيات قديمة من خلال بعض الممارسات. ومن ذلك، التمييز بين الناس من حيث السلالة أو الدين أو الجهة. وأخطر ما في هذه الممارسات، التصنيف المثير للانفعال والحقد والكراهية، والذي يدخل ضمن حركة استرقاقية : التصنيف اللاعلمي واللاإنساني بين الساميين والأهالي؛ وكذا، تصنيف المجتمعات البشرية إلى " ثقافات عليا " و" جماعات بدائية ". إن هذا التمييز بين التحضر والوحشية، لا تخفى سخافته، ولم يعدْ له أي مبرر[1].

2 . الاستخلاف في الأرض تاج المسؤولية ومصدر الفضائل :

لقد ساهم الإسلام كدين جامع للناس، وما يزال يساهم بنشدانه لهذا المبتغى: إنّه يبارك في الخير ويدعو إليه، وينبذ الشرّ ويندّد به وينهى عنه. وفي قوله تعالى " وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان "، دعوة إلى السعي إلى الخير العالمي.

---

[1] . كانت أوروبا في القرنين 18 و19، تفتخر بتقدمها العلمي والتقني وتعتقد بذلك، بأنها تجسد النموذج الثقافي العالمي ؛ وكل أمة لا تقلد هذا النموذج يمكن أن تصنف في خانة " البرابرة " أو " المتوحشين " أو " البدائيين " . ولقد ثبت اليوم، بأن النموذج الغربي ليس المثال الذي يحتذى به.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

فالتعاون على البرّ والتقوى معناه، التعاون على المؤاخاة في كلّ عمل ينتج عنه الخير، والنهي عن الإثم والعدوان معناه، الترفع عن كلّ عمل يعود على النفس أو المجتمع بالفساد، كالظلم والاستعلاء[1].

3. " غارودي " و عالمية الإسلام

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن عالمية الإنسان،أن نشيرإلى أن الفيلسوف الفرنسي المعاصر،"روجي غارودي"، فيلسوف الحوار، اكتشف من خلال العالم، ثقافات إنسانية عريقة تقوم كل واحدة منهاعلى قيَم سامية، وسجل اعترافا بما أبدعته عبقرية الإنسان عبر الحضارات من إنتاجات ثقافية، وبما جاد به المسلمون على وجه الخصوص، من إضافات أثروا بها التراث العالمي.

---

[1] . ويحتم علينا المقام، التطرق لرذيلة الكبرياء، لفشوها في الأرض. إنّها رذيلة عظيمة تزرع بين الأفراد العداوة والبغضاء، فتقضي على التعاون والمحبة بينهم. وتدفع المتكبّر إلى تقدير نفسه فوق قدرها وصمّ أذنيه عن سماع كل حديث يرفع من حاله سوى حديث المدح والتملق من مادحيه. ولقد وصف لنا الله تعالى عاقبة المتكبّرين في قوله :"سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا "؛ (الأعراف 146)؛ و قال أيضا : " لا تمش في الأرض مرحا إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا "(الإسراء 36)؛ أي لا تمشي متبخترا كمشي الجبارين ؛ فإنّك لن تخرق الأرض بمشيك ؛ مهما شمخت بأنفك ن فلن تبلغ الجبال ارتفاعا.
(وفي القرآن ما يدلّ على أنّ الاختلاف والتعدد ظاهرة ربّانية وطبيعية. يقول تعالى "و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة "(المائدة 48)؛ إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ط (يونس 93).

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

خاتمة : حل المشكلة

إن ما هو **عالمي**، يبقى متوقفا على ما هو **خصوصي**، لأنه بدونه، يكون مجرد خرافة. وعلاقاتنا بما هو عالمي، تكون على الدوام ثنائية وتفارقية. فكلما اقتربنا منه، طُرحت بقوة، قضية التعددية والفروقات.

إن الوقوف على ما خلص إليه بعض أهل الفكر والفلسفة من قواعدٍ وحكم، أمثال الأرسطيين والتطوريين، وغيرُهم كثير، ليساعدنا على فهم مهمتنا في الحياة ورسالتنا التي نحملها كأمة أو وطن أو عقيدة. ومن ذلك، وانطلاقا مثلا، من أنه "لا علم إلا بالكليات" و"لا بقاء إلاّ للأصلح"، يجب القول بأن ثقافة أمة لا تفوز بشروط استمرارها إلا إذا تَهيَّأ لها على الأقل، أمران :

الأمر الأول : تمارس حياتها داخل الكلِّي الذي يمثِّلها، وداخل الكلِّي الذي تستهدفه في الوقت نفسه. فترقى لأن تكون جزءا وكلاّ في نفس الوقت؛ نقول: جزءا لأن لها ما يميزها في مجالات متعددة ومتنوعة. ونقول : كلا لأنها في الوقت الذي تعبر فيه خصوصياتُها عن أصالتها، فإن الإنسان في أي مكان أو زمان يجد نفسه مَعْنيا، فيتجاوب معها قليلا أو كثيرا. ولهذا، فإن أية ثقافة مهما كانت قوتها، لا تنمو ولا تستمر في نموها إلا بالتفاعل المثري مع محيطها الحضاري وعصرها الذي تنتمي إليه[1].

---

[1]. ومن المقولات المشهورة في هذا السياق : إن الحب . أمام عجز العقل الذي يحرص على إبراز التنوع أكثر منه على الوحدة . يرى على العكس من ذلك ، الوحدة في التنوع.

http://www.pnsfd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الأمر الثاني : وتمارسها بالإمداد الصالح والمفيد، لأنها إذا لم تكن قادرة على الإبداع والابتكار أي على إضافة الجديد إلى حياة العالم، فإنها تتحول بذلك، إلى جسم مستهلِك ليس فقط لما هو مادي، وإنما أيضاً، لكل ما هو فكري وروحي، وتكون من ثمة، عرضة للتآكل والاندثار.

جميع الحقوق محفوظة ©

وكمخرج من الإشكالية الرابعة [في العلاقات بين الناس]،

إن حركة التنافر والتجاذب تجعل الناس تارة، يتعاشرون بحكم المحبة والتقارب، وتارة أخرى يعادي بعضهم بعضا بدافع من الكراهية، فتنشب بينهم الحروب ويعلو صوت العنف على صوت المعايشة. وفي هذه الحالة، تنهار أخلاق المحبة وتنحل عرى الانجذاب ويخلو الجو للفتنة ولمنطق الغاب، فلا تماسك ولا وحدة ولا أمن بل هناك تمزق وشتات واضطراب.

إن العلاقة التي أقامها الفلاسفة التقليديون قديما وحديثا، بين الإيجاب والسلب في مجال الفكر وعالم الأشياء، لا تتعدى أن تكون مجرد علاقة تقابل وتنافر بينهما؛ وفاتهم أن الواقع في مجال التعددية المنطقية فضلا عن مجال الحياة البشرية المتغيرة التي نلمسها في الظواهر الاجتماعية والنفسية والأخلاقية وغيرها من الظواهر الملتصقة بالإنسان، يثبت ضرورة تعايشهما لحكمة حكيم .

إن الإنسان إذا كان يمثّل مصدر الخير والشر معًا، فإنه بمستطاعه، أن يختار على ضوء معاشرته للغير، ما يدفع إلى إثبات الذات والتعايش مع الغير وهو سلوك لا يحدد فقط مصيره الفردي، بل يتعداه . بشكل أو بآخر . إلى التأثير على مصائر الناس جميعا. ويكفي أن يبيح ولي أمرنا أو أقوياء العالم أمرا غير مباح، حتى يتغير وجه العالم، كعملية الاستنساخ المطلق مثلا ، أو يقرروا فرض نماذج ثقافية على الجميع باسم التقدم والعولمة حتى تنهار الماهية " الجوهرية " التي تميزها عن جميع المخلوقات. إن الإنسان مصدر البناء والهدم يستطيع أن يصنع من نفسه كائنا هادما للشر لا بانيا لمكائد ؛ ويستطيع أن يصنع من نفسه بانيا للقيم لا هادما للخير. وبالإمكان استثمار السلوك العدواني في مجالات تساعده على تهذيبه وتكييفه. ولكن إذا قلنا بأن الإنسان هو واحد في العالم

يخاطب الناس جميعا من خلال إنتاجاته، وابتكاراته، لأنّه يشبههم، ولأنه عنصر ضمن مجموعتهم، فإنه من جهة أخرى، كائن وحيد لا يشبهه أحد، لأنه يحمل خصوصيات ثقافية؛ وقراراتُه الإرادية لا يعلمها أحد من البشر. فهو مصدر الحرية، وكائن يتمرد عن حتمية الأشياء. فإذا كانت الحركة انجذابا، كانت مصدر كل خير، ولكنها إذا كانت تنافرا، فلا يرتجى منها إلا المأساة والخراب؛ فمتى يكون هذا لا ذاك؟ وهل هذه الحركة المزدوجة قضاء محتوم؟

تذكير بأهم الكفاءات المكتسبة من دراسة المشكلات السابقة، لا شك أن المتعلّم الذي تابع تحليل الإشكاليات السابقة ومشكلاتها الجزئية، خاصة ما تعلّق بمشكلات : الحياة بين التنافر والتجاذب، يكون قد :

اجتاز **أولا**، الممارسة الفعلية للتفلسف، وهي في الحقيقة، من **الغايات** البيداغوجية السامية التي يسعى إلى تحقيقها، تدريس الفلسفة ؛ وهنا، يكون قد تمّ الاتصال بالمشكلات الفلسفية، عن طريق العقل، حاز المتعلِّم فيها، على فهمها وتحليلها على أساس **المنطق السليم**، والتمكّن منها، واحتضانها بما يملك من **منهجية عقلانية ورأي سديد**.

وكسب **ثانيا**، الوعي بما يجري في العالم من قضايا فكرية وانشغالات جديدة؛ وتخطّى التزمت المذهبي والوثوقي، والانطواء على الذات، ومارس الإقبال على ضجة الحياة في جميع أبعادها الزمانية والمكانية، القديمة منها والمستجدة ومن أعظم الإنجازات التي يكون قد كسبها المتعلّم، إيمانه **بأن التفكير الفلسفي وما يتضمنه من مفاهيم لا معنى له خارج سياقه المنطقي**، ولا

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

معنى لهذا السياق خارج نسقيته الشمولية. ولهذا فإن فصل المفهوم، أو أيّ عنصر من عناصر هذا التفكير، عن مجاله العلائقي هو إضرار بروح المنهجية النسقية الشاملة التي أقمنا عليها تقديم هذا السند التربوي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق1 : نص فلسفي

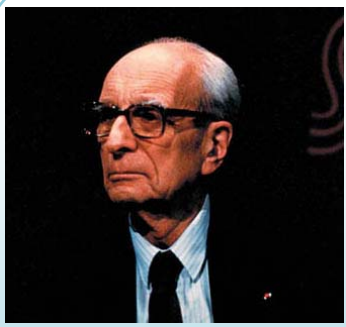

كلود ليفي شتراوس
1908 - 2009

« ممّا لاشك فيه أنّ الأنظمةَ الإنسانيةَ الكبرى، الفلسفية والدينية . سواء البوذية والمسيحية أو الإسلام، والنظريات الرواقية والكانتية أو الماركسية . قد وَقَفتْ ضدّ هذا الضلال[1]. لكن المطالبة البسيطة بالمساواة الطبيعية بين جميع الناس وبالأخوّة التي تقتضي أنْ تجمع بينهم، دون تمييز بين الأعراقِ والثقافات، يحمل بعض ما هو مخيب للفكر، لأنّها تهمل تنوعاً واقعياً، يفرض نفسَه أمام الملاحظةِ، ولا يكفي القول بأنّه لا يؤثّر على جوهر المسألةِ لكي يصبح متاحاً لنا نظريا وعملياً، العمل وكأنّه ليس موجودا. وهكذا تلاحظ بحق مقدمة الإعلان الثاني لليونسكو حول موضع الأعراق أنّ ما يُقنع رجل الشارع بوجود الأعراق، هو " التأكّد المباشر لحواسه عندما يرى معاً إفريقيا و أوروبياً و آسيوياً وهندياً أمريكياً".

كذلك الإعلانات الكبرى لحقوق الإنسان، تحملُ هي الأخرى في طيّاتها، قوّتَها وضعفَها بإعلانها مثالا غالباً ما ينسى حقيقةً أنّ الإنسانّ لا يحقِّق طبيعتَه في إنسانيةٍ مجرّدةٍ، ولكن في ثقافات تقليدية حيث التبدّلات الأكثر ثوريّة لا

---

[1] . النزعة التي ترفض كلّ ما هو أجنبي من أخلاقي وثقافي وديني وجمالي؛ فكان اليونان والرومان يطلقون كلمة " بربري" على الأقوام الأجنبية عنهم. ويستعمل حديثا كلمة متوحش.

جميع الحقوق محفوظة © http://www.onefd.edu.dz

تحول دون استمرار أعراق بكاملها، وهي تعبّر عن نفسها عبر وضعيةٍ محدّدة بدقّة في الزمان والمكان. وعندما وجد الإنسانُ الحديث نفسَه بين الإغراءِ المزدوجِ في أن يدين تجارب تصدم عواطفَه أو أن ينكر فوارق لا يفقهها ثقافيا استسلم إلى تأملات فلسفية واجتماعية كثيرة لكي يُقيم تسويات باطلة بين هذه الأقطاب المتناقضة، ولكي يعرض تنوّع الثقافات مع سعيه المستمرّ لإلغاء ما تحفظ له من أشياء مخزية ومزعجة» .

كلود ليفي شتراوس

العرق و التاريخ ،

ترجمة سليم حداد ، ص . 15 ، 16

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تطبيق2 : نص فلسفي

« لكل كائن بشري الحق في الثقافة بما فيه حق الانتفاع بهوية ثقافية وتطويرها، غير أن الحقوق الثقافية ليست منعدمة الحدود. فالحق في الثقافة ينتهي حيث يبدأ التعدي على حق آخر للإنسان، وبموجب القانون العالمي يمنع استعمال حق تتسبب ممارسته في انتقاص حق آخر أو إبطاله.

[...] فلا يسمح مثلا، لأية ثقافة اليوم، أن تطالب شرعيا بحق ممارسة الاسترقاق، وعلى الرغم من أن كثيرا من الثقافات قد مارسته عبر التاريخ، فإن الاسترقاق لا يمكنه اليوم، أن يتقدم كحق شرعي أو قانوني أو كشكل من أشكال الإرث الثقافي بزعم التطلع إلى نوع من أنواع المحافظة. وعلى العكس من ذلك، فإن كلّ أشكال الاسترقاق بما فيها الممارسات المعاصرة القريبة من الاسترقاق، تشكل خرقا سافرا لحقوق الإنسان بموجب القانون العالمي.

وكذا فإن الحقوق الثقافية لا تبرّر التعذيب ولا القتل، ولا القتل الجماعي، ولا التمييز العنصري بسبب الجنس، والعرق واللغة أو الدين، ولا خرق أيّ حقٍ للإنسان وحرية أساسية يعترف بها القانون العالمي» .

" آيطن شنكر[1]"

---

[1] - أستاذة في الحقوق، تعمل حاليا لصالح هيئة الأمم المتحدة – قسم حقوق الإنسان –

http://www.onefd.edu.dz

طرح المشكلة :

1 . المسلمة : إن الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي لا يمكن أن يعيش دون ثقافة[1] تنظم سلوكه، وتمدّه بوسائل التكيّف والاندماج الاجتماعي، وتساهم في تشكيل هويته. ومن هذا المنطلق كان اكتساب ثقافة معينة حقّا لكل فرد.

2 . إبراز التعارض : لكن هناك بعض الثقافات تقوم على الإقصاء والعنصرية والاستغلال للآخر. وبالتالي فإن هذه الثقافات تعطي لأتباعها الحق في استغلال الآخر وإقصائه وحتى القضاء عليه.

3 . المشكلة : وفي مثل هذه الحالات هل يمكن تبرير الإقصاء والاعتداء على الآخر باسم الحق الثقافي؟

محاولة حل المشكلة :

1 . موقف صاحب النص : بالنسبة لـ: "شنكر" إن تمتع الأفراد بهوية هو حق كأي حق آخر، يعطي للإنسان وجوده الاجتماعي المتميز، شريطة أن لا يتعارض هذا الحق مع الحقوق الأساسية المثبتة في الوثائق الدولية المعاصرة مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ومن هذا المنطلق « فلا يسمح مثلا، لأية ثقافة اليوم، أن تطالب شرعيا بحق ممارسة الاسترقاق، وعلى الرغم من أن كثيرا من الثقافات قد مارسته عبر التاريخ ».

---

[1] . يشير **مصطلح الثقافة** إلى جميع ضروب النشاط والاهتمامات المميّزة لشعبٍ ما. يقول " لنتون" : "الثقافة هي المظهر الخارجي للسلوك المكتسب ولنتائجه التي تكون عناصره المؤلّفةله يشترك فيها أفراد مجتمعٍ و يتناقلونها" . المعجم الفلسفي.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2 . **الحجة (البرهنة)** : وهذا على اعتبار أن الحقوق الثقافية خاصة واجتماعية ومتغيرة، ولذلك فيجب أن لا تتعارض مع الحقوق الأساسية والعامة التي هي حقوق طبيعية وثابتة. وعلى هذا الأساس « فإن الحقوق الثقافية لا تبرّر التعذيب ولا القتل، ولا القتل الجماعي، ولا التمييز العنصري بسبب الجنس، أو العرق أو اللغة أو الدين، ولا خرق أيّ حقٍ للإنسان وحرية أساسية يعترف بها القانون العالمي » .

3 . **مناقشة** : إن إقرار صاحبة النص بالحقوق الثقافية للأفراد هو في الوقت نفسه إقرار بحق الاختلاف والتنوع. لكنه تنوع مشروط بعدم إلغاء الوحدة التي تحدّدها الطبيعة الإنسانية، وتقرُّها المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان.

حل المشكلة :

ومن التحليل السابق يتّضح أنه من حق أي فرد أو جماعة التمتع بالقيم الثقافية التي تعطيه هويته، ولكن من الضروري منع هذا الحق إذا كان يتعارض مع الحقوق الأساسية للإنسان، ويقوم على إلغاء الآخر وإقصائه والتعامل معه على أساس عنصري.

إذن فلا يمكن التذرّع بالحق الثقافي في تبرير إقصاء الآخر والاعتداء عليه.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

تذكير بطرائق كتابة المقالة

المحطات الثلاث	الطريقة الجدلية	الطريقة المقارنة	الاستقصاء بالوضع	الاستقصاء بالرفع	الطريقة التحليلية في دراسة النص
طرح المشكلة	احتمال وجود رأيين جدليين متناقضين.	احتمال وجود مواطن تشابه بين طرفين مختلفين.	المطلوب الدفاع عن رأي يبدو غير سليم.	المطلوب إبطال رأي يبدو سليما.	تحديد وتعليق المشكلة التي يحتمل أن يكون النص معالجةً لها.
محاولة حل المشكلة	الأطروحة؛	مواطن الاختلاف؛	عرض منطق الأطروحة؛	عرض منطق الأطروحة؛	تحليل محتوى النص؛
	نقيض الأطروحة؛	مواطن الاتفاق؛	تدعيم الأطروحة بحجج شخصية؛	إبطال الأطروحة؛	تقويم النص؛
	تركيب / تجاوز.	طبيعة العلاقة بينهما.	نقد خصوم الأطروحة.	نقد أنصار الأطروحة.	بناء رأي شخصي يساهم في معالجة المشكلة.
حل المشكلة	الفصل في المشكلة المتجادل فيها.	الفصل في المشكلة موضوع المقارنة.	التأكيد على مشروعية الدفاع.	التأكيد على مشروعية الإبطال.	موقع الرأي المؤسس حول المشكلة.

. بعض المبادئ الأساسية للعمل التي يجب أن تتوفّر باستمرار باعتبارها ضرورية للتفكير:

أ- تركيز كل التفكير في الموضوع المختار، وليس حول الموضوع كما هو معتاد تداوله على ألسنة الكثير من الناس. **فالتفكير" في"_الموضوع وليس "حول" الموضوع.** ففي أي مرحلة و أي خطوة تخطوها في المقالة إلاّ وهناك **علاقة دائمة ومستمرة بالمطلوب**، الذي يجب أن يدركه القارئ بوضوحٍ.

ب- وجّه اهتمامك إلى التعمق الفلسفي ولا تقتنع بالتلميح والإشارة العابرة، عليك ببناء تحليل تدريجي مثريا إياه بالأمثلة المساعدة على الفهم. تجنب التكرار والعموميات. كما يجب التذكير أن الأمثلة لا تأخذ مكان الفكرة ولا تعد بأي حال من الأحوال حجة أو حججا، إنها وسيلة لوضوح وتوضيح الرؤية للقارئ فحسب. بتعبير آخر هي وسيلة وليس غاية في حد ذاتها.

ت- يجب أن تبدو مقالتك متجانسة، وتحليلك يخلو من التناقض والغموض والسطحية. حذار من التشتت وتفكّك أجزاء المقالة. إن المقالة، وإن كانت أجزاءًا فهي تشكّل كلًّا واحدًا منظّمًا. إنّها بناءٌ منطقي، لا يكون طرح الأفكار فيها تلقائيا، بل مبرَّرًا من خلال وبواسطة استدلالات.

إن النجاح في تحرير المقالة الفلسفية ليس بالسهل حقيقة، ولكنه ليس مستحيل التحقيق. ومعرفتك بالنصائح في حدّ ذاته ليس كافيا، إن لم **تحوِّل تلك المعرفة إلى ممارسة**، مع الثقة بالنفس، بعيدا عن كلّ غرورٍ.

ممّا يبيّن أن النجاح بعيدٌ كل البعد عن الصدفة، إنّه تركيب لمعارفنا ومدى تحصيلنا لها ومدى قدرتنا عل توظيفها بشكل ذكي؛ أي كما يستدعيه

جميع الحقوق محفوظة ©

الموقف الراهن. فيكون، تبعا لما تقدم، النجاح فعلَ إرادةٍ وإبداعٍ وليس ثمة صدفة و اتفاق.

مع تمنياتنا بالتوفيق والنجاح

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©